إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات – أغسطس ٢٠٢٤ م

إلى والدة الإله

أيتها السيدة العذراء، والدة الإله محب البشر! وجهي قلبي إلى التوبة واملئيه بالتواضع، واملئي عيني بدموع الخلاص، وأنيريها بنور صلاتك، لكيلا أغفو في نوم الموت.

القديس مار أفرام السرياني

الإخوة الأحباء،

القديس مار أفرام السرياني معروف بكونه كاتباً وفير الإنتاج، حيث كتب ترانيم روحية وشعراً، بالإضافة إلى عظات عن مواضيع روحية متنوعة. ونحن على قيد الاحتفال بعيد انتقال جسد القديسة الطوباوية مريم والدة الإله، في ٢٢ أغسطس (١٦ مسرى)، لنقرأ ونتأمل في كتابات القديس مار أفرام الروحية عنها، والتي كُتبت على شكل صلوات وتسابيح. قيل عنه: "مدائح أفرام لأمنا العذراء القديسة لا تنتهي. ربما لم يكرمها أي شاعر آخر بهذا القدر من حماسة وتفاني لا متناهي[١]".

الصلوات التالية مأخوذة من كتاب يسمى المزامير الروحية، الذي يتألف من مئة وخمسين صلاة وتسبيحة للقديس مار أفرام[٢].

إلى والدة الإله: في النيات الصالحة وكيف نتطهر من الأهواء

يا أم الله الكلية القداسة، أيتها السيدة الوحيدة التي هي طاهرة تماماً في النفس والجسد معاً، انظري إلى أنا المقيت والنجس، الذي سودت النفس والجسد بلطخات حياتي الشهوانية الشريرة. طهري ذهني الأهوائي، قومي أفكاري العمياء والهائمة، واجعليها غير فاسدة، اصلحي حواسي وأرشديها، حرريني

---

[1] Ida Hahn-Hahn and John Bernard Dalgairns, The Fathers of the Desert, trans. Emily F. Bowden, vol. 1 & 2 (London: Burns and Oates, 1907), 266.

[٢] المزامير الروحية لأبينا القديس أفرام السوري، جمعها ونسقها القديس ثيوفانس الحبيس الروسي. ترجمة د. عدنان طرابلسي. مأخوذة بتصرف.

من الإنجراف الشرير والبغيض وراء الميل والأهواء النجسة التي تعذبني. أوقفي كل خطية تعمل فيَّ، امنحي ذهني التعيس والمكفهر يقظة وفطنة لأصحح نياتي ونقائصي لكي، وقد تحررت من ظلمة الخطية، أكون مستحقاً لأمجدِك وأسبحِك بجرأة. يا من هي وحدها الأم الحقيقية للنور الحقيقي، المسيح إلهنا لأن كل الخليقة، المنظورة وغير المنظورة، تباركك وتمجدك، معه وفيه معاً.

إلى والدة الإله: ليست لديَّ الجرأة الكافية صلي من أجلي، يا مَن هي سريعة في مساعدتي

أيتها السيدة العذراء، أُمُّ الله، الكُلِّية البركة والنعمة من الله، أميلي أذنكِ واسمعي كلماتي، التي تنطق بها شفتي المدنسَتانِ الملوثتان. لا تنبذيني، أنا البائس، لا تدعيني، أنا خادمك غير المستحق، أن أهلك بالكُلِّية. بل استعملي صلواتكِ الوالدية لشفاء نفسي التعيسة، التي حُطِّمت بأهوائي الشريرة بدون رحمة.

لقد حطمها العدو الشرير بخطايا الشهوة ومرَّغها بالوحل، لهذا لا أجرؤ أنا المملوء من كل نوع من الخزي، لستُ لدي الشجاعة لأسأل محبَّ البشرية، الصفح عن جملة خطاياي، وشفاء روحي العُضالة، لأنني دنَّستُ هيكل جسدي، بشهواتي الرديئة، أثقلته بجملة نجاسات، لقد عطَّلت حواسي بأعمال شائنة.

هكذا لا أجرؤ على الوصول إلى السماء بيدي، وهما ملوثتان بمساع خبيثة. لهذا، أنا البائس والخليع أُخضع ذاتي لرأفتكِ التي لا توصف، أيتها السيدة الطاهرة. فليس لي ملجأ آخر إلا أنتِ، يا من هي وحدها تعزيتي ومحاميتي الجاهزة. إني أضع رجائي فيكِ: لا تهجريني.

إن ابنكِ المولود الوحيد يقبل تضرعاتكِ، فإنه يبتهج بشفاعتكِ وهو جاهز ليستجيب لصلواتكِ من أجلنا. لا ترفضيني أنا البائس جداً، فلا تبتر نداء أعمالي رحمتكِ التي لا حدود لها، يا أُمُّ الله. اقبلي هذا التضرع غير الكفؤ وبصلواتكِ الوالدية اجعليه مقبولاً لدى ابنكِ وإلهكِ، ليمنحني الملكوت السماوي وأنا أسبح وأبارك الآب والابن والروح القدس.

القديس مار أفرام السرياني هو أيضاً لاهوتي، ويمكن للمرء أن يتعلم ذلك من خلال العديد من كتاباته. المثال التالي يظهر مناقشته للثالوث القدوس، وألوهية المسيح، وكذلك والدة الإله:

الآب هتف: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت، فله اسمعوا". هكذا تكلم على الابن الذي هو غير منفصل عن مجد الألوهية. لأن الآب والابن سويّة مع الروح القدس طبيعة واحدة، قوة واحدة، جوهراً واحداً، وملكوتاً واحداً.

ومريم دُعيت أم الله بابنها في الجسد، الذي كان غير منفصل عن مجد الألوهية. لأن الله واحد، الذي ظهر للعالم في الجسد.

مجده أعلن طبيعته الإلهية التي هي من الآب، وجسده أعلن طبيعته البشرية التي كانت من مريم، كلتا طبيعتيه اجتمعتا واتحدتا في أقنوم وحيد.

كان هو المولود الوحيد من الآب، وأيضا المولود الوحيد من مريم. إن من يُقَسِم الأقنوم فيه سيُفصل أيضا عن ملكوته، ومن يمزج طبيعتيه سيُحرم من الحياة التي منه [أي من الابن].

إن من يجحد ولادة مريم لله لن يرى مجد ألوهيته، والذي يجحد التحافه بجسد بدون خطية لن ينال الخلاص ولا الحياة التي مُنحت بفضل جسده.

أعماله بالذات تشهد وقوته الإلهية تُعلِم المزدرين أنه الله الحق. وآلامه تبرهن أنه إنسان حق.

لوالدة الإله: تضرع لمنح التوبة

أتضرعُ إلى أم الله: يا والدة النور الدائم الانبثاق، استمعي إلى الكلمات التي أُعلنها أمامكِ!

إني أتمرغ أنا البائس في الحمأة: إني مغطَى بالآثام بالكُلية، ومظلمٌ تماماً. حتى الأرض قد تندّست بكثرة خطاياي، يا سيدتي، وهكذا، تصرخ بتنهدات عني إلى القاضي غير الفاسد، مستدعية السماء ونجومها والشمس كشهودٍ.

وعاصفة أفكاري تغمرني سلفاً في اليأس.. أنا، الخليع، قد وضعتُ كلَّ رجائي فيكِ، يا أم الله. أنتِ وحدكِ، التي حملتِ مخلص العالم في رحمكِ، حِلّي قيودي التي لا تُحل. بيضيني بدموع التوبة أنا المسودّ والذي تحوّلت إلى الظلام. أنتِ التي ولدتِ من أجل حياتي، أنهضيني أنا المذبوح بإهمالي العظيم. أعيديني إلى الله والملائكة أنا الذي صرتُ متغرِّباً عنهم، يا أُمّ الله.

مهولة حقاً هي المعجزة! كيف تحمّل الرب خطاياي! كيف أنه لم ينقلني أنا البائس إلى أعماق الجحيم وما أزال حياً! كيف أنه لم يُرسل من الأعالي عصاه غير المنظورة أو سيفه ليضربني.. بدون شك، لقد منحتني، أيتها السيدة، حياةً بشفاعاتكِ. إنكِ تطلبين توبتي: أعطيني إياها أيتها العذراء الكلية الصلاح، أنا خادمكِ، لأنكِ جداري وملجأي ومترأسي.

لوالدة الإله: اعتراف ببتوليتها الدائمة وصلاة للاشتراك في الأسرار الإلهية باستحقاق

يا أم الله، التي تفوق كل ذهن وكلمة! أيتها العذراء التي تفوق كل عذرية أرضية، إذ حتى قبل الولادة الإلهية كنت عذراء فائقة لكل العذارى، وبقيتِ هكذا خلال الولادة وبعدها!

إليكِ أيتها السـيدة أتوسـل، إليكِ أتضـرع، أيتها الأم الرحيمة الوالدة الإنسـان، يا أم الله الرحيم الذي يود الإنســـان: دافعي عني في هذه الســـاعة إن كنتِ ســـتفعلين هكذا، لأني الآن في أمَّس الحاجة لحمايتكِ ومعونتكِ.

أنا بكليتي في حمأة من القذارة والخطيئة، في مسـكن الأهواء المُفسـدة للنفس. ومع ذلك أجرؤ أن أقترب من أســرار ابنكِ وإلهكِ الكلية النقاوة والمرهبة، وبالتالي أعاني الخوف، وتتملكني الرعدة بســبب كثرة خطاياي التي لا تُحتمل.

لكن إن كنتِ سأبقى بدون مناولة بحجة عدم استحقاقي، فسأسقط عندئذ في لجّة مهولة من الشر، وأجلب على ذاتي عقاباً شديداً. إني أتألم بسبب البديل الأول والثاني معاً.

إليكِ أهرع، ترأفي عليَّ يا سـيدتي الكلية النقاوة. اسـتغلي جرأتكِ الوالدية أمام ابنكِ وإلهكِ، واكسـبي لي مغفرة خطاياي السـابقة. تعطفّي عليّ كي أصـير طاهراً ومسـتنيراً بمنوالة الأسـرار، وأظهري لي كيف أنفق بقية حياتي في التوبة، والطهارة والتواضـع. ابقي دائماً معي في أفكاري وكلماتي وأفعالي، في كل حركات نفســي وجســدي، مرشــدةً إيّاي، وأنتِ تقوديني وتوجّهيني، مُشِــتَّتةً عني كل القوى المعادية، وحافظةً إيّاي ومانحةً خادمكِ، مهما يكن غير مستحق، نعمتكِ بكل طريقة.

لتقترب صــلاتي إليك يا رب! امنحني زرعك المقدس، كي أقدم لك حصــاداً من الســنابل الوفيرة بثمار الخير وأقول، "المجد لمن أعطاني هذا، كي أقدمه له."، وأسجد للآب والابن والروح القدس.

ترأف يا رب عليّ بحسب حنوك، خلّصـني بحسب صـلاحك الفريد، بصـلوات سيدتنا الكلية الطهارة أم الله وجميع القديسين.